صراع القوى فى عملية تنصير المؤمنين

آرثر. ف. كلاسر

إن أى نقاش حـول عملية التحـول فيما يتـعلق بتنصير المسلمـين يجب أن يبدأ بالمعطيات الإنجـيلية، لقد اشـتركت مؤخـرًا فى مشاورات إرساليـة طائفة رئيسـية انعقدت لتحدد سياستها التنصيرية للعقد القادم، والشىء الذى ترك أثره على نفسى بصفة خاصة كان تكافؤ غالبية الوفود، ورغم أنهم وبمطلق حريتهم أكدوا التفويض الإنجيلى للتنصير وأدخلوا المهمة الكبرى (متى ٢٨ : ٢٠) من بيانهم الأساسى فإنهم رفضوا عن قـصد اقتراحًـا بأن التنصير فى البلدان الإسـلامية يتضمـن إعداد أتباع مسلمين للمسيح وتعميد المتنصرين فى حـياة وشهادة كنيسته وهى الشروط المحددة للمهمة الكبرى. وكان الخلاف على «أن التنصير بين المسلمين» لا يتطلب مثل هذه الأهداف الإمبريالية المتـغطرسة، وعليه فإننا نبدأ باللغة وتوضيـحات نظرية التحول الموجودة فى **العهد الجديد**، وعند ذلك فقط سيكون باسـتطاعتنا أن ننسب هذا إلى المواجهة أو «صراع القوى» فى عملية التحويل من الإسلام إلى النصرانية.

١- اللغة الإنجيلية للتنصير

عندمـا نسـتـخـدم كلمـات مـثل «Shub» التى وردت فى **العـهـد القـديم** و«epistrepho» التى وردت فى **العهد الجديد** ومشتقاتها لوصف تحويل باتجاه الرب، فإنها تتضـمن فكرة العودة للوراء أو الالتفاف - أى تغييرًا فى الاتجـاه يتضمن كلاً من العقل والروح، ومثال **العهد القديم** القياسى هو: تحول الشعوب الإسرائيلية إلى يهوذا على ضوء تاريخ مـيثاقها مع الرب، إن مـثل هذا «الانعطاف» القومى (الذى يتضمن التوبة) كـان مصحوبًا دائمًا بإعادة التزام الناس بقوانين العـبادة وبالمستويات الأخلاقيـة التى اتفق عليها فى سـيناء (مثل **يوم حزقـيال فى أخبـار الأيام الثانى ٢٩، ٣٠**)، وفى بعض الحالات نطلع على سجل مـدينة (مثلاً **أخبار نينوى فى يونان ٣ : ٥- ١٠**). أو قصة ملك (مثل «الملك مسنى» فى **أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١٢، ١٣**) يمر كل **منهمـا بتجربة انعطاف (أو التـفاف) وتستـخدم كلمة «** **» فى العـهد الجديد** لوصف إعادة التوجـيه الروحى للشخص المتحول من ولاء لا قـيمة له إلى سلطان عيسى المسيح، ومن خلال الوعظ والإرشاد فإن الناس قد «أوقظوا» بواسطة

الروح القدس واتجهوا تحت تأثيره إلى الرب تاركين أصنامهم (**أعمال الرسل ٩ : ٣٥، ١١: ٢١ وتسالونيكى الأولى ١ : ٩**). وأحيانًا تكون الإشارة إلى الرب نفسه وسيلة إحداث ذلك التغيير (**مثلاً أعمال الرسل ٣ : ٢٦**). ومن الغريب أن التحول المشابه يظهر مرة واحدة فقط ولكنه يستخدم فى تلخيص ما رواه عنه الرسول بولس وجماعته نتيجة لجهودهم التنصيرية، لقد كانت هذه الأخبار أو «القصة الكاملة لتحول الوثنيين» هى التى سببت «ابتهاجًا عظيمًا» (**أعمال الرسل ١٥ : ٣**)، وعليه فإن المعطيات الإنجيلية واضحة فى الواقع، والتحول يشتمل على إعادة توجيه العالم الداخلى للشخص بشكل حاسم فى اتجاه الرب وبهذا تتغير علاقته الأساسية مع الرب.

٢- توضيحات التحول فى (أعمال الرسل)

اختار لوقا خمسة متحولين من كلا الجنسين ومن خلفيات مختلفة قوميًا وشخصيًا وكذلك بتجاربه الدينية السابقة: الحبشى المخصى (**أعمال الرسل ٨**) والفريسى **بولس** (**أعمال الرسل ٩**) والإيطالى **كونيليوس** (**أعمال الرسل ١٠**) والتاجرة **ليديه** والسجان الرومانى (**أعمال الرسل ١٦**)، وعلى الرغم من أن تاريخهم مختلف بشكل ملحوظ فإنهم نماذج مدهشة، فعندما نقوم بتفحصهم واختبارهم عن قرب نجد تشابهًا ملفتًا للنظر بينهم من تعاقب الأحداث التى تسببت فى تحولهم إلى الرب عن طريق الالتزام بالمسيح، وعلى الرغم من أن أحدًا منهم لم يكن يطلب منه بصورة مباشرة التحول إلى الرب فإن تجاربهم المختلفة فى التحول قد عززت المنطق الأساسى فى عملية التنصير الذى تبناه الحواريون والقائل بأن الرب قد أعاد الوفاق بينه وبين العالم عن طريق المسيح ودعا الرجال والنساء إليه فى محبة ورحمة. ولأن كل الناس هم مخلوقاته فإنهم ملزمون بالاتجاه إليه فى توبة وإخلاص وعلى أمل انتصاره عبر التاريخ (**أعمال الرسل ١٤ : ١٥، ١٧ : ٣٠**) إن انتشار الخطيئة الإنسانية عمومًا والتمرد ضد الرب مفترضة سلفًا، كما أن الدعوة إلى التحول هى دعوة شاملة المدى[1]، إن جوهر الـ «Kerygma» التى تبناها الحواريون هو تجسيد وموت وبعث عيسى المسيح، إن الأخبار الطيبة حقًا هى أن

(1) W.G. Kummel, **Man in the New Testament,** 1963, p. 18.

الرب قد «زار» شعبه من خلال هذه الأعمال التخليصية، ولا زال حتى الآن يتوجه نحو الأمم ليضم منها أناسًا إلى اسمه (**أعمال الرسل ١٥ : ١٤**)، ولهذا السبب فإن **مجلس القدس** قرر عدم فرض قيودات مضجرة على أولئك الوثنيين المتوجهين (المتحولين) إلى الرب (**أعمال الرسل ١٥ : ١٩**)، وعندما ندرك أن لوقا يساوى التنصير الرسولى مع المناداة بمملكة الرب (**أعمال الرسل ٨ : ١٢، ١٩، ٢٠، ٢٨ : ٢٣، ٣١**)، لا نملك إلا أن نؤكد على ذلك البعد الشمولى، واستخدام هذا التعبير المتسامى يجب أن يعنى أن التحول إلى الرب هو فى مركز مشيئته لكل المسلمين.

وفى مقاله الرائع حول التحول من **العهد الجديد** حلل **ستيفن سمولى** روايات التحول لهؤلاء الأفراد الخمسة ولاحظ المميزات التى نختصرها أدناه:

أولاً: مر الجميع بفترة إعداد: **الحبشى** يقرأ **الكتاب المقدس** (**أعمال الرسل ٨ : ٢٨**) وبولس يدرس اليهودية والشريعة (**أعمال الرسل ٢٢، ٣ ٢٦: ٥**) وتعاليم أولئك الذين كان يضطهدهم (**أعمال الرسل ٩ : ٢، ٢٢: ٤، ٢٦، ٩: ١١**)، وكان **كورنيليوس** رجلاً تقيّاً مواظبًا على صلاته وكانت **ليديه** تعبد الرب وتصلى (**أعمال الرسل ١٩ : ١٣**) وحتى سجان فيليبى فقد يكون قد أعطى الفرصة للإصغاء إلى تعاليم **بولس، وسيلا** السجان منذ أن كان الحواريون فى فيليبى «عدة أيام» قبل سجنهم (**أعمال الرسل ١٦ : ١٢**).

ثانيًا: الوعظ عن المسيح أو وجوده: شرح فيليبى الأخبار الطيبة عن المسيح إلى **الحبشى** نفسه (**أعمال الرسل ٨ : ٣٥**)، كما أن المسيح نفسه كان يشكل مضمون رؤيا **بولس** فى الطريق نحو دمشق (**أعمال الرسل ٩ : ٥، ٢٢ : ٨، ٢٦ : ١٥**)، وقام **بطرس** بالوعظ **لكورنيليوس** والوثنيين الآخرين عن العقاب والثواب الإلهى من خلال مسيح الناصرة (**أعمال الرسل ١٠ : ٣٤، ٤٣، ١١ : ١٤**) وطرح الرسول بولس نوعًا من الإعلان على مسامع **ليديه** (**أعمال الرسل ١٦ : ٣١**) وأخبر كلاً من **بولس وسيلا** السجان وأهله عن المبدأ العقلانى فى الكون.

ثالثًا: وجود استفسار: لقد سأل **الحبشى فيليبى** عن المقطع الذى يقرأه (**أعمال الرسل ٨ : ٢٤**) وسأل بولس المسيح عن هويته (**أعمال الرسل ٩ : ٥، ٢٢ : ٨، ٢٦ : ١٣**).

وفى إحدى الروايات عن مهمته (**أعمال الرسل ٢٢ : ١٠**) وسأل **كورنيليوس** «الملاك» توضيحًا لرؤياه (**أعمال الرسل ١٠ : ٤**) وسأل **السجان** كلا من **بولس وسيلا** سؤالا وثيق الصلة بالموضوع: «أيها الناس ماذا أفعل لكى تكتب لى النجاة؟» (**أعمال الرسل ١٦ : ٣٠**).

رابعًا: هناك دليل واضح لنشاط الرب، والروح مرتبطة بكهنوت **فيليبى** الذى يمثل شخصياً عامل تحول **الحبشى** (**أعمال الرسل ٨ : ٢٩ : ٣٩**). لقد واجه الرسول بولس الرب مباشرة (**أعمال الرسل ٩ : ٤**) وعلى يدى **حنانيا** الذى حركه الرب أيضًا (**الآية ١٠ وما بعدها**). ويفترض أنه قد شعر بالروح القدس قبل التعميد (**الآية ١٧ وما بعدها**). ويرى **كورنيليوس** ملاكًا للرب فى رؤياه (**أعمال الرسل ١٠ : ٣، ٣٠**)، وشعر بالروح القدس أيضًا قبل التعميد والذى كان من شواهدها التحدث بلغات غير لغتهم (**أعمال الرسل ١٠ : ٤٤، ١١: ١٥: ٨**) كما «فتح الرب قلب ليديه» (**أعمال الرسل ١٦ : ١٤**).

خامسًا: يخضع المتحول فى كل حالة إلى التعميد (**أعمال الرسل ٨ : ٣٨، ٩ : ١٨، ١٦ : ٣٣**)، وهذه المرحلة الواحدة مرتبطة بهم جميعًا وهى تتضمن قبولاً وإيمانًا بالعقيدة، لاحظ أنه لم تتم أية حالة قبول بالعقيدة بصورة جلية فيما عدا عملية التعميد (فما ورد فى **أعمال الرسل ٨ : ٣٧** هو عملية «لاحقة»).

الختام

هناك فى كل حالة نتائج واضحة للتحول: ابتهاج **الحبشى والسجان** (**أعمال الرسل ٨ : ٣٩، ١٦ : ٣٤**)، وعظ **بولس** عن المسيح (**أعمال الرسل ٢٠، ٢٦: ٢٢**). وأظهر كل من **ليديه والحبشى والسجان** فضيلة الضيافة النصرانية (**أعمال الرسل ١٦ : ١٥، ٣٤** راجع أيضًا **رسالة بطرس الأولى ٤ : ٩**) وبسبب محدودية أدلتنا فهناك معالم محدودة ومشتركة بين تلك الروايات كلها يمكن أن تسمح لنا باستنتاجات معينة.

أولاً: إن التجربة الروحية المطروحة هى أكثر من كونها ببساطة نتاج لحظة واحدة.

ثانيًا: غالبًا ما كان سببها الوعظ.

ثالثًا: يوجد نوع من النشاط العقلي مهما كان بسيطًا.

رابعًا: خضع لعملية التحول فرد تمت معاملته كشخصية كاملة.

خامسًا: يرتبط المؤمن تقريبًا مع حياة الكنيسة الكاملة بواسطة التعميد، وكان مرتبطًا مباشرة بعطاء الروح القدس، وأخيرًا وكمقدمة منطقية لكل الذى يمكن أن يقال عن التحول فى **العهد الجديد** فإن العمل هو من بدايته وحتى النهاية استجابة للناموس الإلهى.

٣- اللاهوت والتنصير

إذا ألقينا نظرة خارجية فإن التحول يعنى «التوقف والرجوع واتباع طريق جديد». ويتضمن أكثر بكثير من مجرد التوبة عما مضى والقرار فيما يتعلق بالمستقبل، هناك القرار المتعمد للقلب والعقل للاستسلام لإرادة وقوة الرب والمتمثلة فى المسيح والابتعاد عن الأشياء التى ليست من الرب. وإعادة تكييف الحياة والشخصية تعد شرطًا ضروريًا للدخول فى مملكة الرب، وربما لهذا السبب استبدل **القديس يوحنا** بصورة كلية المصطلحات الشاملة للتوبة بتلك الخاصة بالولادة الجديدة (**يوحنا ٣ : ٣**). وقد ماثل الرسول بولس بين موت وبعث المسيح فالمتحول «اعتقد فى موت المسيح» «ورفع إلى حياة جديدة بروح القدس (**رومة ٦ : ٢-٤ وكولوسى ٢ : ١٢**). وفى الحقيقة فإن هذا المثال للتحول فيما يتعلق بالتوبة والإيمان والموت والحياة يصبح النموذج للحياة النصرانية (**يوحنا الأولى ٢ : ٦**) ولقد كان **لوثر** بعد تحوله يجب أن يردد دائمًا: «أنا أعيش بالتوبة ومسامحة الخطايا».

ومفهوم الاندماج الآخر هو مركزية التعميد فى مجمل تجربة التحويل، ولقد أوضح **الأسقف ستيفن نيل** أن القبول فى كنائس عصر القديسين كان عن طريق «الإيمان والمعمودية» (وهذا ما أكده هو)، وأضاف قائلاً: «إن **العهد الجديد** لا يعرف شيئًا عن العضوية فى الكنيسة عن طريق الإيمان وحده بدون أن تصاحبه الطاعة والاعتراف[1]، وتمثل المعمودية الدخول فى عضوية «شعب الرب» ويتبع ذلك أن

(1) 1964 : 188.

على الشخص ألا يقلل عن المكونات المتداخلة للمعمودية: الاستماع إلى **الكتاب المقدس** والإيمان به (**أعمال الرسل ٢ : ٣٧ وما بعدها**)، والتوبة (**أعمال الرسل ٢ : ٣٨**) والإيمان (**كورنيليوس ٢ : ١٢**) ونعمة مسامحة الخطايا والروح القدس - وباختصار كل ما له علاقة بإعادة التكييف الروحى لحياة الإنسان بكاملها ولشخصيته، ولقد لخص **لوقا** تجربة **بولس فى كورنثوس** قائلاً: «كثيرون من الكورنثيين إذا سمعوا آمنوا واعتمدوا» (**أعمال الرسل ١٨ : ٨**)، ويتضمن هذا التتابع تجربة التحول بأكملها. حقّاً فإن شهادة **الكتاب المقدس** واضحة: لقد اعتقد القديسون جميعًا بأهمية التحول الذى يظهر نفسه فى العمل المتجدد للروح القدس، وتكمن خلف هذه الأهمية حقيقة قديسية الرب وغربة الإنسان عنه بسبب خطيئته، هناك رب خالد واحد فقط يسيطر على كل الأشياء وفقًا لهدفه السرمدى، ولأنه هو «الرب المقرر والمقدر» فإن سعيه إلى إعادة الخاطئين إلى التبعية الكاملة به يتضمن أن لديه الحق فى أن يفرض شروطه لاستعادة الإنسان الخاطئ، والشرط الذى فرضه من خلال الكنيسة هو التوبة: «فالرب الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا» (**أعمال الرسل: ١٧ : ٣١**).

٤- الصراع بين القوى

إن المسألة الأساسية فى مواجهة الرب لأى إنسان هى سلطة الرب وألوهية المسيح، هذا يعنى «صراعًا بين القوى» حيث إن القوة التى تواجه وتستحيل لا بد أن تقاومها الروح الإنسانية، لهذا السبب أخبرنا **القديس لوقا** بأن أولئك الذين غمرهم الرب برحمته والذين دخلوا مملكته فعلوا ذلك «بعنف» (١٦ : ١٦) سواء أكانوا يهودًا أم مسلمين أم من دعاة الحركة الإنسانية أم ماركسيين أم كاثوليكًا أم بروتستانتيين، وعندما ينصب كل همِّ **الكتاب المقدس** وقوة تأثيره للتأكيد على أن المسيح لا يبجل فقط بل يجب أن يتم «الإيمان به» أيضًا عن طريق نقل الولاء له والخضوع لأمره. فإن صدمة التحول أمر لا بد من حدوثه حيث إن هذا يتضمن التحرر من مملكة الظلام والدخول فى مملكة الرب (**كولوسى ١ : ١٣**) إن أى تحول حقيقى يجب أن يتضمن حلاً لقضية أو مسألة السلطة، حقّاً إن المهمة التنصيرية التى كلف بها **الرسول بولس** تضمنت المهمة المحددة التالية: «لتفتح عيونهم (الوثنيون) كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الرب»

(أعمـــال الرسل ٢٦ : ١٨)، وكل الناس مـرتبطـون بدرجـة أو أخـرى بالسلطة، ومجيئهم إلى مملكة المسيح يستلزم الضرورة تحولاً فى السلطة، وقد بين إلن تيبت[١] هذا بوضوح تام حين كتب:

الإنسان ضحية، إنه مكبل، إنه فى فخ وسجـين سلطة مستعبدة، والموقف صعب للغاية وحله يعتبر فوق طاقة البشـر وعليه لن يتمكن الإنسان أبدًا من خلاص نفسه أو من الهـروب وتتطلب الحـالة الحـرجة تدخل مـنقذ خـارجى وإلا هلك الإنسـان واندثر، إننا نواجه قـوة العدو (dunamis) ومحـاصرون بأعـمال الشـيطان (erga) وضحايا مكره وطرقه (methodeias) وتحت سلطته (Exousia) وتكمن حرية الإنسان وخلاصـه فى تدخل سلطة أقـوى وأعظم... ومن ثَمَّ فإن عـالم الرذيلة لا يستـثنى الديانات الوثنية أو يؤيد حتى مجرد الحوار معها. وخلاصة القول أنه يجب فهمها من وجهـة نظر المملكة الأخرى والتى وضـعت فى مواجهـة رسالة الرب، وبما أنهـا قد تحتوى على كثير من الخير فإنها مغموسة فى الشر ومغطاة تمامًا به.

٥- التحول عن الإسلام

عند هذه النقطة وبعد الأخذ فى الاعتبـار كافة معطيات **الكتاب المقدس** الخاصة بالتنصيـر نود أن نبدأ بتقـييم العوامل المتـضمنة فى «صراع القـوى» بين المسيح من جانب والمسلم المؤمن من الجانب الآخر وذلك تحت راية الشـهادة النصرانية، سوف نفتـرض أن الصراع قد تم فـى إطار من الحرية والاحتـرام المتبادل (بيـن النصرانى والمسلم) بدون أى تأثير لأى شكل من أشكال الإكـراه الإنسانى، ويجب أن ندرك منذ البداية أنه لا يوجد هناك مـسلمان اثنان متشابهان، كمـا أنه لا يوجد نصرانيان اثنان متشابهـان، ففى تفكيرهم الدينى وممارساتهم يختلف المسلمون اختـلافًا كبيرًا بين أولئك اللامبالين تمامًا أو المهملين لأمور دينهم وأولئك الذين تقارب حماستهم فى العبادة حـماسة **رابعة العدوية** المتصـوفة التى عاشت فى مدينة البـصرة والتى ناجت ربها قائلة:

---

(1) Alan R. Tippett, **Verdict Theology in Missionary Theory**, 1969, pp. 89- 91.

يا الله إذا كنت أعبدك خشية من الجحيم فأحرقنى فى الجحيم، وإذا كنت أعبدك على أمل الفردوس فاحرمنى منها، أما إذا كنت أعبدك لذاتك فقط فلا تمنع عنى جمالك الأبدى.

ويمكن أن يكون العاملون فى مجال التنصير فى هذه الأيام والذين كيفتهم الظروف قد تأثروا كثيراً بالتقوى والولاء الدينى للكثير من المسلمين حتى كادوا يهملون حقائق الشهادة الإنجيلية الواضحة تمامًا والتى تعرضنا لها قبل قليل، وكان تركيزهم منصباً على هذه التقوى المثيرة للإعجاب بحيث إنهم جعلوها نقطة البداية فى تفسيراتهم اللاهوتية حول المواجهة الدينية، لقد وقفوا بكل رهبة أمام المسلم المنهمك فى عبادة الله وقوته وعظمته وتجاوبوا مع التزامه المحسوس للخضوع لرغبة الله الغامضة («الإسلام» يعنى الاستسلام والخضوع»، إنهم يحسدون غيرة المسلم على عبادة الرب الواحد الذى يتصرف فى ملكوته ليس كما يفعل شيخ مستبد من الصحراء إنما كحاكم وكمشرع أعلى، هو الواحد فوق الجميع، والرب الذى يقف وراء كل الظواهر ولا يمكن لأى فرد أن ينجح فى مقاومة إرادته، من المؤكد أن يقول هؤلاء الرجال: إن مثل هذه القوة والخشوع لله تفوق تقواهم هم، ألا تقارب هذه التقوى تقوى الرسول بولس الذى أنشد «فكل شىء منه وبه وإليه، فله المجد إلى الأبد» (**رومة** ١١ : ٣٦). فلماذا إذًا يجب أن نميز بين تقوى الرسول بولس النصرانى وتقواهم الإسلامية؟ سيكون غريبًا ومزعجًا أن تواجه مسلمًا ورعًا، مؤكدًا له بكل جرأة أن عبادته الدينية لا طائل منها بسبب استثنائه المتعمد لاسم وألوهية يسوع المسيح، وسيكون من الخطأ أيضًا أن تمدحه لعبادته الله، ومع ذلك فإن الرب هو المؤهل الوحيد للحكم ما إذا كانت عبادة الإنسان هى فعلاً «بالروح وبالحق» (**يوحنا** ٤ : ٢٦).

هناك حاجة ماسة إلى مرجع يتم استنادًا له تقويم التقوى الإنسانية، ولا يمكن اقتراح نقطة بداية أفضل من تحليل الرسول بولس لتقوى الإنسان الدينية والمدونة فى (**الرسالة إلى الكنيسة رومة** ١ : ١٨- ١٦٢). وباختصار يمكن تلخيص وجهة نظر الرسول بولس من أن حقيقة التقوى وليس كثافتها ونوعيتها هى ظاهرة عالمية. إضافة إلى ذلك نجد فى كل نظام دينى بعض الأفراد الورعين والتقاة جداً وما على المرء إلا أن يتذكر تقوى القديس «**شاؤول**» قبل تنصره ليقر بأن حماسة الإنسان

الشديدة للرب قد لا تأتى من داخل دائرة الاستحسان الإلهى. وهناك مغزى عميق من أن السماء لم تلاحظ صلاة هذا الرجل إلا بعد تحوله على الطريق إلى دمشق («لأنه هوذا يصلى»: أعمال الرسل ٩ : ١١).

يقول الرسول بولس إن الناس بتفانيهم الدينى «يعبدون الحق» فيما يتعلق بطبيعة الرب الحقيقية (١ : ١٨) وحتى بعد الاقتناع بوجود رب واحد، كما يؤمن اليهودى أو المسلم، فإن الرجل المتدين قد يستجيب بأن يكبت بصورة لا شعورية تلك العوامل عن حقيقة الرب التى لا تلائم قابلية الإنسان للخطأ وهذا يعنى بالضرورة أن الرب يجب أن يصغر إلى درجة العجز المجرد عن أى شخصية أو يتجسم إلى ذلك السمو الربانى: «رب عال فى آفاق بعيدة المنال»[1]. وكل ما يقع «بوضوح أمام عينيه» ومن حوله فى الكون، أى إن قوة وألوهية الرب الخالدة، تصبح مشوهة إلى درجة تربك إدراكه الكامل. وعلى الرغم من أن الرب يؤثر فى الإنسان وأن الإنسان يستجيب جزئياً إلى سعى الرب للوصول إليه، فإن الإنسان يقوم فى النهاية بعبادة أصنام ممسوخة رافضًا دون علم أو قصد منه تلك المكونات التى لا غنى له عنها لإيجاد علاقة حقيقية مع الرب، يقول بافينك بهذا الخصوص عن محمد ما يلى:

«فى ليلة القدر التى تحدثت عنها السورة السابعة والتسعون وهى الليلة التى «هبطت فيها الملائكة» ونزل فيها القرآن من الله تعامل الله مع محمد وأثر فيه. لقد كافح الله تلك الليلة ليؤثر بمحمد ولا تزال يد الله ملحوظة فى إجابة النبى والتى هى أيضًا نتيجة شعور الإنسان بالكبت».

وعليه أصبح الإنسان فى كل الديانات بما فيها الإسلام مشغولاً بالبدائل التى أوجدها هو والناتجة عن سقوطه وذلك فى سعيه للتوصل إلى نوع من التفاهم مع حقيقة الرب التى تواجه بـ«الإلهام الطبيعى»، وبشكل مشابه فإن النصارى ملزمون أيضًا بالاعتراف بأنه يوجد أيضًا فى الديانة النصرانية - والتى تعبر عن التجاوب البشرى مع الكتاب المقدس الذى أوحاه الرب - دليل على سقوط الإنسان بل حتى آثار شيطانية، وفى الحقيقة فإن التدين الخاطئ الذى يؤدى إلى الكبت بصورة لا شعورية

(1) Johannes H. Bavinck, **The Church Between Temple and Mosque,** 1966, p. 120.

وبالتالى إلى الاستبدال يظهر بوضوح فى شخصية **شاؤول الفريسى** وذلك قبل تحوله. وماذا عن التجربة التى مر بها **جون وزلى** قبل تجربته فى موضوع «بقية العقيدة».

بالإضافة إلى ذلك فإن الداعية النصرانى فى عمله بين المسلمين يستطيع فقط أن يواجه تقوى المسلم الواضحة بالكلمة المتواضعة الشجاعة: «هذا الرب الذى ظل يسعى إليك والذى بدأت تستجيب إليه سيخاطبك الآن بطريقة جديدة من خلال الشهادة التى أحضرتها من يسوع المسيح»، فالنصرانى ليس لديه بديل إلا تقديم مثل هذه الدعوة لأن المسيح «كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان» ولكن الإنسان وسط الظلام الذى يحيط به لم يكن قادراً على إدراكه (**يوحنا ١ : ٩-٥**) «وتقديم المسيح إلى المسلم كما هو مبين بوضوح فى **الكتاب المقدس** وإرفاق هذا باعتراف المسلم كيف أن نعمته المنقذة قد تم اختبارها شخصياً، يهيئ ساحة «صراع القوى فى عملية تنصير المسلمين».

٦- منهج التنصير

يجب على النصرانى أن يتعمد مقاومة إغراء السماح لشهادته للمسيح بأن تنحدر إلى درك التهجم والمجادلة العنيفة كما كان يحدث فى الماضى، فهل يستطيع حقاً أن يقنع المسلم بأن النصارى لم يزوروا **الكتاب المقدس** أو أنهم ليسوا مشركين أو أن المسيح هو أكثر من «كونه ابن مريم» كما هو مذكور فى **القرآن**، أو إن صلب المسيح وبعثه قد تم فعلاً ؟ إضافة إلى كل ذلك فإن محاولات تأكيد التفوق الأخلاقى والاجتماعى للنصرانية محتوم عليها الفشل بسبب التأثير الشيطانى الذى لا يمكن محوه وذلك عبر تاريخ الكنيسة الطويل الذى تغلب عليه المعاناة، ومن وجود إمكانية تقديم إجابة صادقة على كل التساؤلات التى يمكن أن يطرحها المسلم فإن هذه المسألة يجب ألا تكون محور المواجهة، وبدلاً من ذلك يجب أن يقف النصارى بجانب المسلم وأن يؤكدوا معه عمومية إنسانيته، ويجب أن يتكلم باسم المسيح عن الخطيئة والاستقامة والحساب، فهذا هو النموذج الرسولى الذى يمكن إدراكه من تجارب التنصير التى أشرنا إليها سابقًا (خاصة فى **أعمال الرسل ٨: ٢٣، ١٠ : ٢٦: ٤٣، ١٦: ٣، ٣١**)، والالتزام بهذا المثال يعنى الدخول فى تيار التأكيد على التنصير والذى سوف يباركه الروح القدس حقّاً، واستناداً إلى هذه الأمور قدم الرب وعده إلى الشاهد الذى يرافقه (**يوحنا ١٦ : ٨- ١١**).

خاتمة

كل هذا يقودنا إلى لب الموضوع فعندما يتم لقاء مباشر بين الفرد الذى حرره المسيح وبين المسلم الورع فإن ما يظهر ويطفو على السطح نادرًا ما يكون هو الإسلام «المثالى» أى إسلام العقيدة والممارسة، فكل من النصرانى والمسلم فى هذا السياق يدركان بالغريزة أن ما يمكن الحصول عليه من خلال مناقشة العقيدة أو الدين قليلة للغاية، وهذه قضايا لا تهم المسلم العادى كثيرًا إنما الذى يهمه ويشغل فكره هى محاولاته التغلب على العديد من القضايا المهمة والقوى المعادية التى تحتشد فى عالمه وتقلق راحته النفسية والفكرية، فهناك السحر الذى يرغب فى ممارسته، وماذا عن الروح الشيطانية التى لا بد من تهدئتها واسترضائها، والتعاويذ التى يتوجب عليه استخدامها؟ فهل تساعده مناشدة القديسين على مخاوفه؟ وأشياء كثيرة أخرى، وهكذا نرى باستمرار أن عالم المسلمين تهيمن عليه «العين الشريرة» والمرض والموت واللعنات والسحر، فهو لا يلتزم بالإسلام القرآنى ولكن بإسلام أرواحى يولد عن خواء فى القلب بصورة مثمرة.

هذا الجوع والخواء هو ما يجب أن يواجهه الشاهد النصرانى حيث إن المسيح هو الوحيد الذى يستطيع أن يشبعه، هل توجد قوى مدمرة فى كافة أنحاء العالم؟ إن المسيح أكثر قوة منها جميعًا، هل يوجد أمل فى المرض والموت؟ إن المسيح هو المشفى وهو البعث؟ هل هناك أى هدف أو معنى للحياة؟ لدى المسيح وصية مثالية لكل واحد من أتباعه. والخطيئة العظمى هى أن الناس لا يلجأون إلى المسيح فى إيمان وتوبة (**يوحنا ١٦ : ٩**). ولا يمكن أن يدرك المسلمون احتياجاتهم الكبرى أى الوصول إلى الرب وغفران الذنوب وتبرير الرحمة والخلود إلا عندما يبسطون أيديهم إلى المسيح ويجدون فيه الحلول لاحتياجاتهم الملحة. وعندما يبدأون فى الاتجاه إليه كرب وكمنقذ فإن «مشاكلهم اللاهوتية تبدأ بالتبخر ويدخلون مملكة الرب ولكن ذلك لن يتم فى غياب الصدمة الداخلية لصراع القوى».

خلاصة تعقيبات المشاركين

اعتبر بحث دكتور **كلاسر** حول الأسس الإنجيلية لتنصير المسلمين ممتازًا ونقطة بداية لمناقشة الموضوع، كتب أحدهم يقول: لقد كان «بحثًا رائعًا، طرح بصورة جيدة صادقة التأويل». واتفق الكثير من القراء مع الكاتب بصدق ووجدوا أنه من المفيد جداً اعتماده على **العهد الجديد** لبحث الأجزاء الهامة فى عملية التنصير، وكانت الخصائص الست المتعلقة بتحول شخصيات ممتازة من **العهد الجديد** مفيدة جداً، ورغم أن دكتور **كلاسر** كان موفقًا تمامًا فى تعريف النصرانية الإنجيلية كما نعرفها فإنه أثار العديد من التساؤلات فيما يتعلق بأسباب نجاح التنصير فى أجزاء كثيرة من بلاد العالم وفشله فى البلدان المسلمة. «هل يلزمنا إعادة النظر فى معطيات **الكتاب المقدس**؟»، «وهل لدى الرب شيئًا جديداً يقوله للكنيسة»؟.

أثيرت أيضًا العديد من القضايا كرد فعل لهذه الأسئلة وأقر الكثيرون مركزية التعميد فيما طرحه **كلاسر** واتفقوا معه بأنه لا توجد أية سابقة لإلغاء التعميد كما قد يقترح بعضهم، فالتعميد كان غريبًا حتى على **الحبشى**، ومع ذلك فقد تم القيام به. وفضل بعضهم الآخر أن يشرع تأجيل التعميد والسماح «بالتنصر سرية» فى بعض الحالات بينما شك البعض فى ممارسة تأجيل التعميد بغرض ترشيد وتوجيه الأشخاص المتحولين (معدل ثلاثة سنوات فى إحدى الدراسات) قائلين بأن مثل هذا التأخير يعكس انعدام الثقة فى أعمال **الروح القدس**. واعترض بعضهم أيضًا على تعبير دكتور **كلاسر** حول التحول عن الإسلام وإساءته الضمنية لما يسمى «بالوحى الطبيعى». وكان هناك أيضًا خيبة أمل بسبب حديثه الوجيز حول منهج التنصير. وتذمر أحد القراء لأن البديل الوحيد الذى قدمه دكتور **كلاسر** «للمجادلة والتهجم المبتذل» هو حديثه عن الخطيئة والاستقامة والحساب، وهو بهذه الطريقة يقودنا مرة أخرى إلى أرض المعركة اللاهوتية.

أراد عدد من القراء معرفة المزيد عن كيفية المشاركة فى «عملية المواجهة والصراع بين القوى» واستغرب بعضهم فيما إذا كانت المواجهة النصرانية -الإسلامية يمكن أن تحدث فى إطار الحرية والاحترام المتبادل كما افترض ذلك دكتور **كلاسر**، وأخيراً يرى أحد القراء أن موضوع المواجهة بين القوى هذا لا يمكن أن يطيقه إلا أولئك

الذين عاشوا تجربة «طويلة» مثل الرسول بولس، ويعتقد أحد القراء أن الآخرين الذين ولدوا نصارى أو أولئك الذين آمنوا بالمسيح عن إدراك كامل قد لا يحتاجون «لصراع القوى» هذا ولربما كانت هناك أعداد متغيرة من المسلمين الذين آمنوا بالمسيح ينتمون إلى هذه المجموعات.

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

(**ملاحظة المحرر**: لقد قام المحرر بجمع المعلومات التالية من نسخة من النص الذى أعاد المؤلف كتابته).

تلقى الكاتب مجموعة كبيرة ومتنوعة من ردود المشاركين حول هذا الموضوع وأهم التعليقات كانت من المسلمين الذين تنصروا من إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا، وقد اتفقوا بصورة عامة مع وجهة نظره حول لاهوت التنصير.

وكان التعميد، بالطبع، محط التفكير والتعقيب، وقد شعر **دكتور كلاسر** أنه على الرغم من أن التعميد لا يمكن الاستغناء عنه إلا أن طريقة التعميد وتوقيته ينبغى أن يتركا للمتحولين الجدد وإلى **الروح القدس** واثقين فى مقدرته على الإرشاد والقيادة «لكل واحد بمفرده كما يشاء» (**كورنثوس الأولى ١٢ : ١١**) فى كل وضع معين، وقد واكبت هذا النقد فكرة أخرى عبر عنها المشاركون بحماسة وهى أن إرساليات التنصير يجب ألا تفرض أساليب وطرق عفوية كحلول ولكن عليها أن تكون حساسة تجاه العوامل اللاهوتية، والوجودية، وربما كان من الواجب استحداث «بديل فعال». وعلى كل حال، ليس من الحكمة فى شىء أن يقوم الدخلاء بفرض التعميد على المسلمين المتنصرين والذى يمكن أن يحدث من خلال تعاليم **الكتاب المقدس** وتغلغل الروح القدس فى حياتهم جاعلاً منهم متحولين جدد يأتون طواعية طالبين التعميد كختام لإيمانهم ومدركين لطريقة إجرائه، وقد برز هذا التركيز بوضوح عند إيراد **دكتور كلاسر** لحقيقة انتماء المسلمين لأكثر من ٣٥٠٠ مجموعة عرقية متنوعة مما يؤدى إلى تنوع أشكال وأنواع وأوقات التطبيقات المحلية لمبدأ التعميد إضافة إلى أى مسائل مشابهة أخرى.

كانت إحدى القضايا التى أثيرت أيضًا هى أن «المواجهة» عندما تحدث يجب أن تتم ضمن الإطار الإسلامى حتى تكون هناك مواجهة فعالة، وسوف لن تكون

هناك مواجهة صادقة بين المسلمين والمسيح إذا ظل عرضنا لحقيقة الكتاب المقدس مغلفًا فى أنماط فكرية غريبة على ثقافة المسلم.

وقد تمكن الكاتب من إلقاء المزيد من الضوء على الأفكار السالفة الذكر عندما بين الفوارق فى المجتمعات الإسلامية بين المثقفين الذين يمكن اعتبارهم ليبراليين وبين فئة الأتقياء التقليديين والعامة ممن يمارسون نمطًا خاصاً يسمى «إسلام العوام». وبناء عليه يجب التفكير فى منطلقات قادرة على التعامل مع هذه الفئات المختلفة من المسلمين حسب مستوياتهم الخاصة بها.

وتم التعبير عن هذا أيضًا من خلال الاهتمام الذى أبداه المشاركون حول ضرورة مقاومتنا لإغراء الانحدار إلى الجدل العقيم حول مناهج وأساليب بالية تتفاعل فقط على مستوى النصرانية الإنجيلية فى مواجهة الإسلام «المثالى» الذى يطبق العقيدة والتعاليم ولكن من الواجب علينا أن نغرس فى منطلقاتنا الوعى والمعطيات الثقافية، إن هدفنا يجب أن يكون ما يلى: «لكن الرب يبشركم عن طريقى بالأخبار السارة عن المسيح». بذلك نعبر عن إنسانيتنا للرب والتى تعبر تمامًا عن شمولية إنسانيتنا وعن الفشل التام لطاقة البشر فى إرضاء المطالب القويمة للرب المقدس.

●●●

المراجع

Bavinck, Johannes H.

1948 **The Impact of Christianity on the Non - Christian World.** Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing company.

1966 **The Church Between Temple and Mosque.** Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishung Company.

Kummel, W. G.

1963 **Man in the New Testament.** London: SCM Press.

Neill, Stephen

1964 **The Interpretation of the New Testament 1861- 1961.** London: Oxfors University Press.

Smalley, Stephen.

1964 "Conversion in the New Testament," **The Churchman 78 : 193-210.**

Tippett, Alan R.

1969 Verdict Theology in Missionary Theory. lincoln, Illinois: Lincoln Christian College Press.

●●●